قال الله سبحانه وتعـالى : ((**والفجر. وليـال عشـر. والشـفع والوتر. والليل إذا يسـر**)) كـل هـذه إقسـامات بـالفجر، وليـال عشر، والشفع والوتر، والليـل إذا يسـر، خمسـة أشـياء أقسـم اللـه تعالى بها، الأول: الفجر ((**والفجر**)) هو النور الساطع الذي يكـون في الأفق الشرقي قرب طلوع الشمس، وبينه وبين طلوع الشمس ما بين ساعة واثنتين وثلاثين دقيقة، إلى ساعة وسبع عشرة دقيقـة، ويختلف باختلاف الفصول، يعني أحياناً تطول الحصة مـا بيـن الفجـر وطلوع الشمس، وأحيانـاً تقصـر حسـب الفصـول، والفجـر فجـران: **فجر صادق**، **وفجر كاذب**، والمقصود بالفجر هنا الفجـر الصـادق، والفرق بين الفجر الصادق والكاذب من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: الفجـر الكـاذب يكـون مسـتطيلاً فـي السـماء ليـس عرضـاً ولكنـه طـولاً، وأمـا الفجـر الصـادق يكـون عرضـاً يمتـد مـن الشمال إلى الجنوب. **الفرق الثاني**: أن الفجـر الصـادق لا ظلمـة بعده، بل يزداد الضياء حتى تطلع الشمس، وأما الفجر الكاذب فـإنه يكون بعده ظلمة، فإنه يحدث بعده ظلمة بعد أن يكون هذا الضـياء، ولهذا سمي كاذباً؛ لأنه يضمحل ويزول. **الفرق الثـالث**: أن الفجـر الصادق متصل بالأفق، أما الفجر الكاذب فـبينه وبيـن الأفـق ظلمـة، هذه ثلاثة فروق آفاقية حسية يعرفها الناس إذا كـانوا فـي الـبر، أمـا فـي المـدن فلا يعرفـون ذلـك، لأن الأنـوار تحجـب هـذه العلامـات. وأقسم الله بـالفجر لأنـه ابتـداء النهـار، وهـو فـي الحقيقـة انتقـال ، انتقال من ظلمة دامسة إلـى فجـر سـاطع، وأقسـم اللـه بـه لأنـه لا يقدر على الإتيان بهذا الفجر إلا الله عز وجـل كمـا قـال اللـه تبـارك وتعالى: ((**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يـأتيكم بضـياء أفلا تسـمعون**)) وأقسم الله بالفجر لأنه يترتب عليه أحكام شرعية، مثل: إمسـاك الصائم، فإنه إذا طلع الفجر وجب علـى الصـائم أن يمسـك إذا كـان صـومه فرضـاً أو نفلاً إذا أراد أن يتـم صـومه، ويـترتب عليـه أيضـاً: دخول وقت صلاة الفجر، وهما حكمـان شـرعيان عظيمـان، أهمهمـا دخول وقت الصلاة، أي أنه يجب أن نراعي الفجـر مـن أجـل دخـول وقت الصلاة أكثر مما نراعيه من أجـل الإمسـاك فـي حالـة الصـوم، لماذا ؟ لأننا في الإمساك عن المفطرات في الصيام لـو فرضـنا أننـا أخطأنا فإننا بنينا على أصـل وهـو بقـاء الليـل، لكـن فـي الصـلاة لـو

أخطأنا وصلينا قبل الفجر لم نكن بنينا على أصل، لأن الأصل بقاء الليل وعدم دخول وقت الصلاة، ولهذا لو أن الإنسان صلى الفجر قبل دخول وقت الصلاة بدقيقة واحدة فصلاته نفل ولا تبرأ بها ذمته، ومن ثَمَّ ندعوكم ـ أيها الإخوة ــ إلى ملاحظة هذه المسألة، أعني العناية بدخول وقت صلاة الفجر، لأن كثيراً من المؤذنين يؤذنون قبل الفجر وهذا غلط، لأن الأذان قبل الوقت ليس بمشروع لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم**)، ومتى يكون حضور الصلاة ؟ أسألكم ، إذا دخل وقتها، فلو أذن الإنسان قبل دخول وقت الصلاة فأذانه غير صحيح يجب عليه الإعادة، والعناية بدخول الفجر مهمة جداً من أجل مراعاة وقت الصلاة. وقوله تعالى: ((**وليال عشر**)) قيل المراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة، وأطلق على الأيام ليالي، لأن اللغة العربية واسعة، قد تطلق الليالي ويراد بها الأيام، والأيام يراد بها الليالي، وقيل المراد بالليالي العشر، ليال العشر الأخيرة من رمضان. أما على الأول الذين يقولون المراد بالليال العشر عشر ذي الحجة، فلأن عشر ذي الحجة أيام فاضلة قال فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**) قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: (**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**). وأما الذين قالوا: إن المراد بالليال العشر هي ليال عشر رمضان الأخيرة، فقالوا: إن الأصل في الليالي أنها الليالي وما هي الأيام، وقالوا: إن ليال العشر الأخيرة من رمضان فيها ليلة القدر التي قال الله عنها أنها((**خير من ألف شهر**))، وقال: ((**ليلة مباركة** ((.وقال)) **فيها يفرق كل أمر حكيم** ((، وهذا القول أرجح من القول الأول، وإن كان القول الأول هو قول الجمهور، لكن اللفظ لا يسعف قول الجمهور، وإنما يرجح القول الثاني أنها الليالي العشر الأواخر من رمضان، وأقسم الله بها لشرفها، ولأن فيها ليلة القدر، ولأن المسلمين يختمون بها شهر رمضان الذي هو وقت فريضة من فرائض الإسلام وأركان الإسلام، فلذلك أقسم الله بهذه الليالي. وأما قوله: ((**والشفع والوتر**)) فقيل: إن المراد به كل الخلق، كل الخلق إما شفع وإما وتر، صح ، كل الخلق إما شفع وإما وتر والله عز وجل

يقول: ((ومن كل شيء خلقنا زوجين)). فالعبادات إما شفع وإما وتر، فيكون المراد بالشفع والوتر كل ما كان مخلوقاً من شفع ووتر، وكل ما كان مشروعاً من شفع ووتر، وقيل: المراد بالشفع الخلق كلهم، والمراد بالوتر الله عز وجل. واعلموا أن قوله والوتر فيها قراءتان صحيحتان ((**والوِتر**)) و((**الوَتر**)) يعني لو قلت ((**والشفع والوِتر**)) صح ولو قلت ((**والشفع والوَتْر**)) صح أيضاً، فقالوا إن الشفع هو الخلق؛ لأن المخلوقات كلها مكونة من شيئين ((**ومن كل شيء خلقنا زوجين**)) والوَتْر أو الوِتر هو الله لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: (**إن الله وتر يحب الوتر**)، وإذا كانت الآية تحتمل معنيين ولا منافاة بينهما فلتكن لكل المعاني التي تحتملها الآية، وهذه القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين وأحدهما لا ينافي الآخر فهي محمولة على المعنيين جميعاً. قال تعالى: ((**والليل إذا يسر**)) أقسم الله أيضاً بالليل إذا يسري، والسري: هو السير في الليل، والليل ـ كما نعلم ـ يسير يبدأ بالمغرب وينتهي بطلوع الفجر فهو يمشي الزمن يمشي ما يتوقف، فهو دائماً في سريان، فأقسم الله به لما في ساعاته من العبادات كصلاة المغرب، والعشاء، وقيام الليل، والوتر وغير ذلك، ولأن في الليل مناسبة عظيمة وهي أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: (**من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**) ولهذا نقول: إن الثلث الآخر من الليل إنه وقت إجابة، فينبغي أن ينتهز الإنسان هذه الفرصة فيقوم لله عز وجل يتهجد ويدعو الله سبحانه وتعالى بما شاء من خير الدنيا والآخرة لعله يصادف ساعة إجابة ينتفع بها في دنياه وأخراه. يقول الله تبارك وتعالى ((**هل في ذلك قسم لذي حجر**)) ، يقول الله تعالى ((**ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد**)) الخطاب هنا لكل من يوجه إليه هذا الكتاب العزيز وهم البشر كلهم بل والجن أيضاً ألم تر أيها المخاطب ((**كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد**)) يعني ما الذي فعل بهم؟ وعاد قبيلة معروفة في جنوب الجزيرة العربية، أرسل الله تعالى إليهم هوداً عليه الصلاة والسلام فبلغهم الرسالة ولكنهم عتوا وبغوا وقالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى: ((**أولم يروا أن**

اللـه الـذي خلقهـم هـو أشـد منهـم قـوة وكـانوا بآياتنـا يجحدون)). فهم افتخروا في قوتهم ولكن اللـه بيـن أنهـم ضـعفاء أمام قوة الله ولهذا قال: ((**أولم يروا أن الله الذي خلقهـم**)) ولم يقل أن الله أشد منهم قوة بل قال: ((**الذي خلقهم**)) ليـبين ضعفهم وأنه جل وعلا أقوى منهم، لأن الخالق أقوى من المخلوق ((**أن الله الذي خلقهم هـو أشـد منهـم قـوة وكـانوا بآياتنـا يجحدون. فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فـي أيـام نحسـات لنذيقهم عذاب الخزي فـي الحيـاة الـدنيا ولعـذاب الآخـرة أخزى وهم لا ينصرون**)). كنـا نقـول: ((**ألم تـر كيـف فعـل ربك بعاد**)) والذي فعل الله بهم أنه أرسل عليهم الريـح العقيـم ((**سخرها عليهم سـبع ليـال وثمانيـة أيـام حسـوماً ، فـترى القـوى فيهـا صـرعى كـأنهم أعجـاز نخـل خاويـة**))، ((**فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم**))، وهـذا الاسـتفهام الـذي لفـت الله فيه النظر إلى ما فعل بهؤلاء يراد بـه الاعتبـار يعنـي اعتـبر أيهـا المكذّب للرسول محمد صلى الله عليـه وسـلّم بهـؤلاء كيـف أُذيقـوا هذا العذاب، وقد قـال اللـه تعـالى: ((**وما هـي مـن الظـالمين ببعيد**)). وقوله: ((**إرم**)) هذه اسم للقبيلـة، وقيـل اسـم للقريـة، وقيل غير ذلك، فسواء كانت اسما للقبيلة أو اسما للقرية فـإن اللـه تعـالى نكـل بهـم نكـالاً عظيمـاً مـع أنهـم أقويـاء. وقـوله: ((**ذات العماد**))، ((**التي لم يخلق مثلها في البلاد**)) يعني أصـحاب ((**العماد**)): الأبنية القوية ،((**التي لم يخلق مثلها فـي البلاد**)): أي لم يصنع مثلها في البلاد؛ لأنها قوية ومحكمة، وهذا هـو الـذي غرهم وقالوا: مَن أشد منا قـوة؟ وفـي قـوله تعـالى: ((**لم يخلـق مثلها فـي البلاد**)) مـع أن الـذي صـنعها الآدمـي دليـل علـى أن الآدمي قد يوصف بالخلق فيقال خلـق كـذا، ومنـه قـول النـبي عليـه الصلاة والسلام في المصورين (**يقال لهم أحيوا مـا خلقتـم**)، لكن الخلق الذي ينسب للبشر بل الخلق الذي ينسب للمخلوق ليس هو الخلق المنسوب إلى الله. الخلق المنسوب إلى اللـه إيجـاد بعـد إعدام وتحويل وتغيير، أمـا الخلـق المنسـوب لغيـر اللـه فهـو مجـرد تحويل، تحويل وتغيير، وأضرب لكم مثلاً: هذا الباب من خشـب، مـن الذي خلق الخشب؟ الله، لا يمكـن للبشـر أن يخلقـوه، لكـن البشـر يستطيع أن يحول جذوع الخشب وأغصان الخشب إلى أبـواب، إلـى

دواليب، وما أشبه ذلك، فالخلق المنسوب للمخلوق ليس هو الخلـق المنسوب للخالق؛ والفرق ؟ أجيبوا، الخلق المنسوب للخـالق إيجـاد من عدم وهذا لا يستطيعه أحد، والمنسوب للمخلوق تغييـر وتحويـل يحول الشيء من صفة إلى صفة، أما أن يغير الذوات بمعنـى يجعـل الذهب فضة، أو الفضـة حديـداً، أو مـا أشـبه ذلـك فهـذا مسـتحيل لا يمكن إلا لله وحده لا شريك له. ثم قال: ((**وثمود الـذين جـابوا الصخر بالواد**)) ثمود :هـم قـوم صـالح ومسـاكنهم معروفـة الآن، كما قال تعـالى: ((ولقـد كـذب أصـحاب الحجـر المرسـلين)). فـي سورة ((**الر**)) ذكر الله أن ثمود كانوا في بلاد الحجر وهي معروفة مر عليها النبي صلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم فـي طريقـه إلـى تبوك وأسرع وقنّع رأسه صلى الله عليه وسـلّم وقـال: (**لا تدخلوا علـى هـؤلاء القـوم المعـذبين إلا أن تكونـوا بـاكين، أن يصيبكم مثل ما أصابهم**)، هؤلاء القوم أعطاهم اللـه قـوة حـتى صاروا يخرقون الجبال، والحصى، والصخور العظيمة ويصنعون منهـا بيوتاً ولهذا قال: ((**جابوا الصخر بـالواد**)) أي: وادي ثمـود، وهـو معروف، هؤلاء أيضاً فعل الله بهم ما فعل من العذاب والنكال حيث قيل لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ثـم بعـد الثلاثـة الأيـام أخـذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، فعلينا أيها الأخـوة أن نعتبر بحال هؤلاء المكذبين الـذين صـار مـآلهم إلـى الهلاك والـدمار، وليُعلم أن هذه الأمة لن تُهلـك بمـا أهلكـت بـه الأمـم السـابقة بهـذا العذاب العام، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سـأل اللـه تعالى أن لا يُهلكهم بسنة بعامة ولكن قد تهلك هذه الأمة بـأن يجعـل الله بأسهم بينهـم، فتجـري بينهـم الحـروب والمقاتلـة، ويكـون هلاك بعضهم على يد بعـض، لا بشـيء ينـزل مـن السـماء كمـا صـنع اللـه تعالى بالأمم السابقة، ولهذا يجب علينا أن نحذر الفتن ما ظهر منهـا وما بطن، وأن نبتعد عن كل ما يثير الناس بعضهم علـى بعـض، وأن نلزم دائماً الهدوء، وأن نبتعد عن القيل والقال وكثرة السـؤال، فـإن ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسـلم، وكـم مـن كلمة واحدة صنعت ما تصنعه السيوف الباترة، فالواجب الحـذر مـن الفتن، وأن نكون أمة متآلفة متحابـة، يتطلـب كـل واحـد منـا العـذر لأخيه إذا رأى منه ما يكره. نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والصلاح وأن يجمـع قلوبنـا علـى طـاعته. قـال اللـه تبـارك وتعـالى:

((**ألم تر كيف فعل ربك بعـاد. إرم ذات العمـاد. الـتي لـم يخلـق مثلهـا فـي البلاد . وثمـود الـذين جـابوا الصـخر بالواد**))، قال: ((وفرعـون ذي الأوتـاد))((**فرعون**)) فرعـون هو الذي أرسل الله إليـه موسـى عليـه الصـلاة والسـلام، وكـان قـد استذل بني إسرائيل في مصر، يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم، وقـد اختلف العلماء في السبب الذي أدّى بـه إلـى هـذه الفعلـة القبيحـة، لماذا يقتل الأبناء ويبقي النساء؟! فقال بعض العلماء: إن كهنته قالوا له إنه سيولد في بني إسرائيل رجل يكـون هلاكـك علـى يـده فصـار يقتل الأبناء ويستبقي النساء. ومن العلماء من قـال: إنـه فعـل ذلـك مـن أجـل أن يضـعف بنـي إسـرائيل؛ لأن الأمـة إذا قُتلـت رجالهـا واستبقيت نسائها ذلت بلا شـك، فـالأول تعليـل أهـل الأثـر، والثـاني تعليل أهل النظر ـ أهل العقل ـ ولا يبعد أن يكون الأمران جميعاً قـد صارا علة لهذا الفعل، ولكن بقدرة الله عز وجل أن هذا الرجل الذي كان هلاك فرعون على يده تربى في نفس بيت فرعون، فإن امـرأة فرعون التقطته وربته في بيت فرعون، فرعون اسـتكبر فـي الأرض وعلا في الأرض وقال لقومه: ((**أنا ربكم الأعلى**)) وقال لهم: ((**ما علمت لكم من إله غيري**)) وقال لهم: ((**أم أنا خيـر مـن هذا الذي هو مهين**)) يعني موسى ((**ولا يكاد يـبين**)) ، قـال الله تعالى: ((**فاستخف قومه فأطاعوه**)). وتعلمـون أنـه قـال لقومه مقرراً لهم: ((**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون**)). فافتخر بالأنهار وهـي الميـاه فـأغرق بالماء. ((**وفرعون ذي الأوتاد**)): أي ذي القوة، لأن جنوده كانوا له بمنزلة الوتد، والوتد كمـا نعلـم تربـط بـه حبـال الخيمـة فتسـتقر وتثبت، فله جنود أمم عظيمة ما بين ساحر وكـاهن وغيـر ذلـك لكـن الله سبحانه فـوق كـل شـيء. قـال تعـالى: ((**الذين طغـوا فـي البلاد**)) الطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: ((**إنا لما طغـى الماء حملناكم في الجارية**)). أي لمـا زاد المـاء حملنـاكم فـي الجارية يعني بذلك السفينة التي صنعها نوح عليـه الصـلاة والسـلام، فمعنى ((**طغوا في البلاد**)) أي: زادوا عن حـدهم واعتـدوا علـى عباد الله. ((**فأكثروا فيها الفساد**)) الفسـاد، هـل هـو الفسـاد الحسـي أو المعنـوي؟ الجـواب هـو: الفسـاد المعنـوي، والفسـاد المعنوي يتبعه الفسـاد الحسـي،أنتـم معنـا؟ الفسـاد المعنـوي يتبعـه

الفساد الحسي، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ((**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)). ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى: ((ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)). قالوا: لا تفسدوها بالمعاصي، وعلى هذا فيكون قوله ((**فأكثروا فيها الفساد**)) أي: الفساد المعنوي، لكن الفساد المعنوي يتبعه الفساد الحسي، وكان فيما سبق من الأمم أن الله تعالى يدمر هؤلاء المكذبين عن آخرهم، لكن هذه الأمة رفع الله عنها هذا النوع من العقوبات، وجعل عقوبتها أن يكون بأسهم بينهم، هم فيما بينهم يدمر بعضهم بعضاً، وعلى هذا فما حصل من المسلمين من اقتتال بعضهم بعضاً، ومن تدمير بعضهم بعضاً إنما هو بسبب إيش؟ إنما سببه المعاصي والذنوب، يسلط الله بعضهم على بعض ويكون هذا عقوبة من الله سبحانه وتعالى. ولهذا قال :((**فأكثروا فيها الفساد)). ((فصب عليهم ربك سوط عذاب**)) ((**صب عليهم**)): والصب معروف أنه يكون من فوق، والعذاب الذي أتى هؤلاء من فوق من عند الله عز وجل. و((**سوط عذاب**)) السوط هو العصا الذي يضرب به، ومعلوم أن الضرب بالعصا نوع عذاب، لكن هل هذا السوط الذي صبه الله تعالى على عاد، وثمود، وفرعون، هل هو العصا المعروف الذي نعرف، أو أنه عصا عذاب أهلكهم؟ الجواب: الثاني عصا عذاب أهلكهم وأبادهم. نسأل الله تعالى أن يجعل لنا ولكم فيما سبق من الأمم عبرة نتعظ بها وننتفع بها، ونكون طائعين لله عز وجل غير طاغين، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال الله تعالى: ((**إن ربك لبالمرصاد**)): الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو لكل من يتوجه إليه الخطاب، يبين الله عز وجل أنه بالمرصاد لكل من طغى واعتدى وتكبر، فإنه له بالمرصاد سوف يعاقبه ويؤاخذه، وهذا المعنى له نظائر في القرآن الكريم منها قوله تبارك وتعالى: ((**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها**)). وكقول شعيب لقومه: ((**أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد**)). فسنة الله سبحانه وتعالى

واحـدة فـي المكـذبين لرسـله، المسـتكبرين عـن عبـادته هـو لهـم بالمرصـاد، وهـذه الآيـة تفيـد التهديـد والوعيـد لمـن حـاول، أو لمـن استكبر عن عبادة الله، أو كذب خبره. ثم قـال عـز وجـل: ((**فأما الإنسـان إذا مـا ابتلاه ربـه فـأكرمه ونعمـه فيقـول رب أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليـه رزقـه فيقـول ربـي أهانن**)) الابتلاء من الله عز وجل يكـون بـالخير وبالشـر كمـا قـال تعـالى: ((**ونبلـوكم بالشـر والخيـر فتنـة**)). فيُبتلـى الإنسـان بالخير ليبلوه الله عز وجـل أيشـكر أم يكفـر، ويبتلـى بالشـر ليبلـوه أيصبر أم يفجر، وأحوال الإنسان كما تعلمون جميعاً دائـرة بيـن خيـر وشر، بين خير يلائمه ويسـره، وبيـن شـر لا يلائمـه ولا يسـره، وكلـه ابتلاء مـن اللـه، والإنسـان بطـبيعته الإنسـانية المبنيـة علـى الظلـم والجهل إذا ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه يقول ((**رب أكرمن**)): يعنـي أنني أهـل للإكـرام ولا يعـترف بفضـل اللـه عـز وجـل، وهـذا كقـوله تعالى: ((**قال إنما أوتيته على علم عندي**)). لمـا ذكـر بنعمـة الله عليه قال: ((**إنما أوتيته على علـم عنـدي**)) ولـم يعـترف بفضل الله، وما أكثر الناس الذين هذه حـالهم إذا أكرمهـم اللـه عـز وجل ونعمهم، قالوا: هذا إكرام من الله لنا؛ لأننا أهل لـذلك، ولـو أن الإنسان قال: إن الله أكرمني بكذا اعترافاً بفضله وتحدثاً بنعمتـه لـم يكن عليه في ذلك بـأس، لكـن إذا قـال: أكرمنـي، يعنـي أننـي أهـل للإكرام، كما يقول مثلاً كبير القوم إذا نزل ضيفاً علـى أحـدهم قـال: أكرمني فلان؛ لأنني أهل لذلك. ((**وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه**)): يعني ضيق عليه الرزق ((**فيقول ربي أهانن**)): يعني يقول إن الله تعالى ظلمني فأهـانني، ولـم يرزقنـي كمـا رزق فلانـاً، ولم يكرمني كمـا أكـرم فلانـاً، فصـار عنـد الرخـاء لا يشـكر، يعجـب نفسه ويقول هذا حق لي، وعند الشدة لا يصبر بل يعترض على ربـه ويقول ((**ربي أهانن**))، وهذا حال الإنسـان باعتبـاره إنسـاناً، أمـا المؤمن فليس كذلك، المؤمن إذا أكرمه الله ونعّمه شـكر ربـه علـى ذلك، ورأى أن هذا فضل من الله عز وجل وإحسان، وليس من بـاب الإكرام الذي يقدم لصـاحبه علـى أنـه مسـتحق، وإذا ابتلاه اللـه عـز وجل وقدر عليه رزقه صبر واحتسب، وقال هـذا بـذنبي، والـرب عـز وجل لم يهني ولم يظلمنـي، فيكـون صـابراً عنـد البلاء، شـاكراً عنـد الرخاء، وفي الآيتين إشارة إلـى أنـه يجـب علـى الإنسـان أن يتبصـر

فيقول مثلاً: لماذا أعطاني الله المال؟ ماذا يريد مني؟ يريد منـي أن أشكر. لماذا ابتلاني الله بالفقر، بالمرض وما أشبه ذلك؟ يريـد منـي أن أصبر. فليكن محاسباً لنفسـه حـتى لا يكـون مثـل حـال الإنسـان المبنية على الجهل والظلم، ولهذا قـال تعـالى: ((**كلا**)) يعنـي لـم يعطك ما أعطاك إكراماً لك لأنك مسـتحق ولكنـه تفضـل منـه، ولـم يهنك حين قدر عليك رزقه، بل هذا مقتضى حكمته وعـدله. ثـم قـال تعالى: **((بل لا تكرمون اليتيم**)) يعني أنتم إذا أكرمكم الله عـز وجـل بـالنعم لا تعطفـون علـى المسـتحقين للإكـرام وهـم اليتـامى، فاليتيم هنا اسم جنس، ليس المراد يتيماً واحداً بـل جنـس اليتـامى، واليتيم قال العلماء: هو الذي مات أبوه قبل بلوغه من ذكر أو أنـثى، وأما من مـاتت أمـه فليـس بيـتيم **((بل لا تكرمـون اليـتيم**)) ، وقوله تعالى: ((**اليتيم**)): يشمل الفقير من اليتـامى، والغنـي مـن اليتامى، حتى الغني من اليتامى ينبغي الإحسـان إليـه وإكرامـه لأنـه انكسر قلبه بفقد أبيه ومن يقوم بمصـالحه، فأوصـى اللـه تعـالى بـه حتى يزول هذا الكسر الذي أصابه. ((**ولا تحاضون علـى طعـام المسكين**)): يعني لا يحض بعضكم بعضاً على أن يطعم المسكين، وإذا كـان لا يحـض غيـره فهـو أيضـاً لا يفعلـه بنفسـه، فهـو لا يطعـم المسكين ولا يحض على طعام المسكين، وفي هذا إشـارة إلـى أنـه ينبغـي لنـا أن نكـرم الأيتـام، وأن يحـض بعضـنا بعضـاً علـى إطعـام المساكين؛ لأنهم في حاجة، والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ((**وتأكلون التراث أكلاً لمـا. وتحبـون المـال حبًّا جًّما**)) : ((**التراث**)) ما يورثه اللـه العبـد مـن المـال، سـواء ورثه عن ميت، أو باع واشترى وكسب، أو خرج إلـى الـبر وأتـى بمـا يأتي به من عشب وحطـب وغيـر ذلـك، المهـم أن الـتراث مـا يرثـه الإنسان، أو ما يورثه الله للإنسان مـن المـال فـإن بنـي آدم يـأكلونه أكلاً لما، وأما المـال فقـال: ((**وتحبون المـال حبًّـا جًّمـا**)): أي عظيماً، وهذا هو طبيعة الإنسان، ولكن الإيمان له مؤثراته قد يكـون الإنسان بإيمانه لا يهتم بالمال وإن جـاءه شـكر اللـه عليـه، وأدّى مـا يجب وإن ذهب لا يهتم به، لكن طبيعـة الإنسـان مـن حيـث هـو كمـا وصفه الله عز وجل في هاتين الآيتين، نسـأل اللـه تعـالى أن يوفقنـا وإياكم لما فيه الخير والصـلاح وأن يقينـا شـر أنفسـنا إنـه علـى كـل شيء قدير. قوله تبارك وتعالى: ((**كلا إذا دكت الأرض دكًّا دكًّا.**

وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)): يذكر الله سبحانه وتعالى الناس بيوم القيامة ((**إذا دكت الأرض دكًّا دكًّا**)): أي دكاً بعد دك حتى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، تُدك الجبال، ولا بناء، ولا أشجار، تمد الأرض كمد الأديم، ويكون الناس عليها في مكان واحد يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر في هذا اليوم ((**يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يقول يا ليتني قدمت لحياتي**)) ولكن قد فات الأوان، إلا أننا في الدنيا في مجال العمل في زمن المهلة يمكن للإنسان أن يكتسب لمستقره، كما قال مؤمن آل فرعون ((**يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار**)). متاع يتمتع به الإنسان كما يتمتع المسافر بمتاع السفر حتى ينتهي سفره، فهكذا الدنيا، واعتبر يا أخي، اعتبر ما يستقبل بما مضى، كل ما مضى كأنه ساعة من نهار، كأننا الآن مخلوقون، فكذلك ما يستقبل سوف يمر بنا سريعاً ويمضي جميعاً، وينتهي السفر إلى مكان آخر ليس مستقرًّا، إلى الأجداث إلى القبور ومع هذا فإنها ليست محل استقرار لقول الله تعالى: ((**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر**)). سمع أعرابي رجلاً يقرأ هذه الآية فقال: " **والله ما الزائر بمقيم ولابد من مفارقة لهذا المكان** "، وهذا استنباط قوي وفهم جيد يؤيده الآيات الكثيرة الصريحة في ذلك كما في قوله تعالى: ((**ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**)). وذكر الله سبحانه وتعالى ما يكون في هذا اليوم فقال: ((**وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا**)): أي صفًّا بعد صف، ((**وجاء ربك**)): وهذا المجيء هو مجيئه ـ عز وجل ـ لأن الفعل أسند إلى الله، وكل فعل يسند إلى الله فهو قائم به لا بغيره، هذه القاعدة في اللغة العربية، والقاعدة في أسماء الله وصفاته كل ما أسنده الله إلى نفسه فهو له نفسه لا لغيره، وعلى هذا فالذي يأتي هو الله عز وجل، وليس كما حرّفه أهل التعطيل حيث قالوا إنه جاء أمر الله، فإن هذا إخراج للكلام عن ظاهره بلا دليل، فنحن من عقيدتنا أن نجري كلام الله ، ورسوله على ظاهره وأن لا نحرف فيه. ونقول: إن الله تعالى يجيء يوم القيامة هو نفسه، ولكن كيف هذا المجيء؟ هذا هو الذي لا علم لنا به لا ندري كيف يجيء؟ والسؤال عن مثل هذا بدعة كما قال الإمام

مالك ـ رحمه الله ـ حين سُئل عن قـوله تعـالى: ((**الرحمن علـى العرش استوى**))، كيف استوى؟ سائل يسأل كيف استوى؟ كيف الاستواء؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ـ يعنـي العـرق ــ لشدة هذا السـؤال علـى قلبـه، لأنـه سـؤال عظيـم سـؤال متنطـع، سـؤال متعنـت، أو مبتـدع يريـد السـوء، ثـم رفـع رأسـه وقـال: " **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقـول، والإيمـان بـه واجب، والسؤال عنه بدعة** "، الشاهد الكلمة الأخيرة ـ السـؤال عنه بدعة ـ واعتبر هذا في جميع صفات الله فلو سـألنا سـائل قـال: إن الله يقول: ((**لما خلقت بيدي**)). يعني آدم، كيف خلقه؟ كيف خلقه بيده؟ نقول: هذا السؤال بدعة، قال: أنا أريد العلم لا أحـب أن يخفى علي شيء من صفات ربي فأريد أن أعلم كيف خلقه؟ نقول: نحن نسألك أسئلة سهلة هل أنت أحرص علـى العلـم مـن الصـحابة رضي الله عنهم؟ إما أن يقول نعـم، وإمـا أن يقـول لا، والمتوقـع أن يقول لا. طيب، هل الذي وجهت إليـه السـؤال أعلـم بكيفيـة صـفات الله عز وجل أم الرسول عليه الصلاة والسلام؟ سـيقول: الرسـول، إذاً الصحابة أحـرص منـك علـى العلـم والمسـئول الـذي يـوجه إليـه السؤال أعلم من الذي تسأله ومـع ذلـك مـا سـألوا؛ لأنهـم يلـتزمون الأدب مع الله عز وجل، ويقولون بقلـوبهم وربمـا بألسـنتهم إن اللـه أجل وأعظم من أن تحيط أفهامنا وعقولنا بكيفيات صفاته، والله عز وجل يقـول فـي كتـابه فـي الأمـور المعقولـة ((**ولا يحيطون بـه علماً**)). وفـي الأمـور المحسوسـة: ((**لا تـدركه الأبصـار وهـو يدرك الأبصار**)). فنقول: يا أخي الزم الأدب، لا تسأل كيـف خلـق الله آدم بيده؟ فإن هذا بدعة، وكذلك بقيـة الصـفات لـو سـأل كيـف عين الله عز وجل؟ قلنا له: هذا بدعة، لو سأل كيـف اليـد؟ يـد اللـه عز وجل قلنا: هذا بدعـة وعليـك أن تلـزم الأدب، وأن لا تسـأل عـن كيفية صفات الله عز وجل. لما قال هنا فـي الآيـة الكريمـة ((وجـاء ربك)) وسأل كيف يجيء؟ ماذا نقول له؟ أجيبوا؟ نقول: هذا بدعة ـ هذه القاعدة التزموها ـ هذا السؤال بدعة، وكـل إنسـان يسـأل عـن كيفية صفات الله فهو مبتدع متنطـع، سـائل عمـا لا يمكـن الوصـول إليه، فموقفنا من مثل هذه الآية ((**وجاء ربك**)) أن نؤمن بأن اللـه سيجيء ولكن على أي كيفية ؟ الله أعلم. طيب، لو قال قائـل: هـل يحتمل أن يكـون مجيئـه كمجيـء الإنسـان؟ أو كمجيـء الملـك إلـى

مكان الاحتفـال؟ الجـواب: لا،هـذا نعلـم أنـه لا يكـون والـدليل قـوله تعالى: ((**ليس كمثله شيء وهـو السـميع البصـير**)). فنحـن نعلم النفـي ولا نعلـم الإثبـات، أي نعلـم أنـه لا يمكـن أن يـأتي علـى كيفية إتيان البشر، ولكننا لا نثبـت الكيفيـة وهـذا هـو الـواجب علينـا، وقوله: ((**والملك**)) " **أل** " هنا للعموم يعني جميع الملائكة يـأتون ينزلون ويحيطون بـالخلق، تنـزل ملائكـة السـماء الـدنيا، ثـم ملائكـة السماء الثانية وهلم جرا يحيطون بالخلق إظهاراً للعظمـة، وإلا فـإن الخلق لا يمكن أن يفروا يمينـاً ولا شـمالاً لكـن إظهـاراً لعظمـة اللـه وتهويلاً لهذا اليوم العظيـم، تنـزل الملائكـة يحيطـون بـالخلق، وهـذا اليوم يوم مشهود يشهده الملائكة والإنس والجـن والحشـرات وكـل شيء ((**وإذا الوحوش حشرت**)). فهو يوم عظيم لا نـدركه الآن ولا نتصوره لأنه أعظم مما نتصور. الأمر الثالث ممـا بـه الإنـذار فـي هذا اليوم بعد أن عرفنـا الأمـر الأول وهـو مجيـء اللـه، ثـم صـفوف الملائكة قال: ((**وجيء يومئذ بجهنم**)) ((**جيء يومئذ**)) ولـم يذكر الجائي لكن قد دلت السنة أنه يؤتى بالنـار تقـاد بسـبعين ألـف زمام كل زمام منها يقـوده سـبعون ألـف ملـك، ومـا أدراك مـا قـوة الملائكة؟ قوة ليست كقوة البشر، ولا كقـوة الجـن بـل هـي أعظـم وأعظم بكثير، ولهذا لما قال عفريت من الجن لسليمان ((**أنا آتيك به**)) بعرش بلقيس ((**قبل أن تقوم من مقامك وإنـي عليـه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنـا آتيـك بـه قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مسـتقرًّا عنـده**)). قـال العلماء: لأن الرجل هذا دعا الله، فحملتـه الملائكـة فجـاءت بـه إلـى سليمان في الشام من اليمن ، فقوة الملائكة عظيمة، وهـم يجـرون هذه النار بسبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألـف ملـك، إذاً هي عظيمة- نسأل الله العافية ونسأل الله أن يجيرنا وإيـاكم منهـا-، هذه النار إذا رأتهم أي رأت أهلها من مكان بعيد، سمعوا لهـا تغيظـاً وزفيـراً، وليسـت كزفيـر الطـائرات أو المعـدات، زفيـر تنخلـع منـه القلـوب - والعيـاذ بـالله-، ((**كلمـا ألقـي فيهـا فـوج سـألهم خزنتها ألم يأتكم نذير**)). وقـال اللـه عـز وجـل: ((**تكاد تميـز من الغيظ**)) تكـاد تقطـع مـن شـدة الغيـظ علـى أهلهـا - والعيـاذ بالله-، فلهذا أنـذرنا اللـه تعـالى منهـا فهـذه ثلاثـة أمـور كلهـا إنـذار: مجيء الرب جل جلاله، صفوف الملائكة، الثالث: الإتيان بجهنـم. ((

يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)) يتـذكر: يتعـظ، لكـن أنى له الاتعاظ فات الأوان، انقطع الاتعاظ بحضور الأجل في الـدنيا قبـل أن يصـل الإنسـان إلـى الآخـرة، ((**وليست التوبـة للـذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحـدهم المـوت قـال إنـي تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار**))، ونسأل اللـه تعـالى أن يجعلنا وإياكم من المتعظين بآياته ونسأله تعالى أن يرزقنـا علمـاً نافعاً وعملاً صالحاً ورزقاً طيباً واسعاً. يقول: **((يا ليتنـي قـدمت لحيـاتي. فيومئـذ لا يعـذب عـذابه أحـد ولا يوثـق وثـاقه أحد**)): وهذا هو آخر سورة الفجر يقول الله عـز وجـل: ((**يومئـذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى**)): يعني إذا جاء الله فـي يـوم القيامـة، وجـاء الملـك الملائكـة صـفوفاً صـفوفاً، وأحـاطوا بـالخلق، وحصلت الأهوال والأفزاع يتذكر الإنسان، يتذكر أنه وعد بهـذا اليـوم، وأنـه أعلـم بـه مـن قبـل الرسـل عليهـم الصـلاة والسـلام، وأنـذروا وخوفوا، ولكن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن ولـو جـاءته كل آية - والعياذ بالله -، حينئـذ يتـذكر لكـن يقـول اللـه عـز وجـل ((**وأنى له الذكرى**)) أين يكون له الذكرى في هذا اليوم الـذي رأى فيه ما أخبر عنه يقيناً؟! والإيمان عن المشاهدة لا ينفع، الإيمان عـن المشاهدة لا ينفع، لأن كل إنسان يؤمن بما شاهد، الإيمان النافع هـو الإيمان بالغيب ((**الذين يؤمنون بالغيب**)). فيصدق بمـا أخـبرت به الرسل عن الله عز وجل وعن اليوم الآخر، في ذلك اليـوم يتـذكر الإنسان ولكن قال الله عز وجل: ((**أنى له الذكرى**)) أي بعيد أن ينتفع بهذه الذكرى التي حصلت منه حين شاهد الحق يقول الإنسان: ((**يا ليتني قدمت لحياتي**)) يتمنـى أنـه قـدم لحيـاته ومـا هـي حياته؟ أتظنون أنه يريد الحياة الدنيا؟ لا واللـه، الحيـاة الـدنيا انتهـت وقضت، وليست الحياة الـدنيا حيـاة فـي الواقـع، الواقـع أنهـا همـوم وأكدار، كل صفو يعقبه كدر، كـل عافيـة يتبعهـا مـرض، كـل اجتمـاع يعقبه تفرق، انظروا ما حصل أين الآباء؟ أين الإخـوان؟ أيـن الأبنـاء؟ أين الأزواج؟ هل هذه حياة؟ أبداً، ولهذا قال بعض الشعراء الحكماء:

لا طيب للعيش مادامت منغصة *** لـذاته بادكـار المـوت والهـرم ،

كل إنسان يتذكر أن مآله أحد أمرين: إما الموت، وإمـا الهـرم، نحـن نعرف أناساً كانوا شباباً في عنفوان الشباب عُمّروا لكن رجعوا إلـى أرذل العمر، يَرقُ لهم الإنسان إذا رآهم فـي حالـة بـؤس، حـتى وإن

كان عندهم من الأموال ما عندهم، وعنـدهم مـن الأهـل مـا عنـدهم، لكنهم في حال بؤس، وهكذا كل إنسان إما أن يموت مبكراً، وإما أن يُعمّر فيرد إلى أرذل العمر فهل هذه حياة؟ الحياة هي مـا بينـه اللـه عـز وجـل: ((**وإن الدار الآخـرة لهـي الحيـوان**)) يعنـي لهـي الحياة التامة ((**لو كـانوا يعلمـون**)). يقـول هـذا: ((**يـا ليتنـي قدمت لحياتي**)) يتمني لكن ما يحصـل ((**أنى لـه الـذكرى**)). قال تعالى: ((**فيومئذ لا يعذِّب عـذابه أحـد، ولا يُوثَـق وثـاقه أحد**)): يعني في هذا اليوم لا أحد يعذب عذابه، ولا أحد يوثق وثاقه، ومعلوم أن هذا الكـافر، المـؤمن يأتينـا ذكـر المـؤمن إن شـاء اللـه، الكافر لا يعذب أحد عذابه في ذلك اليوم و أخبركم لماذا؟ لأنه يُلقـى على أهل النار في الموقف العطـش الشـديد، فينظـرون إلـى النـار كأنها السراب، والسراب هو ما يشـاهده الإنسـان فـي أيـام الصـيف في شدة الحر من البقاع حتى يخيـل إليـه أنـه المـاء، ينظـرون إلـى النار كأنها سراب وهم عطاش، فيتهافتون عليها يذهبون إليها سراعاً يريدون أي شيء؟ يريدون الشرب، فإذا جاؤوها فتحت أبوابها وقـال لهم خزنتهـا: ((**ألم يـأتكم رسـل منكـم يتلـون عليكـم آيـات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا**)). قد قـامت عليكـم الحجـة فيوبخونهم قبل أن يدخلوا النار، والتوبيخ عـذاب قلـبي وألـم نفسـي قبل أن يذوقوا ألم النار - أعاذنا الله وإياكم منها -، في النار يـوبخهم الجبار عز وجـل توبيخـاً أعظـم مـن هـذا. ويقولـون ((**ربنا غلبـت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضـالين. ربنـا أخرجنـا منهـا فـإن عدنا فإنا ظالمون**)) قـال اللـه تعـالى وهـو أرحـم الراحميـن: ((**اخسئوا فيها ولا تكلمون**)). أبلغ من هذا الإذلال،- والعياذ بـالله -: ((**اخسئوا فيها ولا تكلمون**)) يقوله أرحـم الراحميـن، فمـن يرحمهم بعد الرحمن؟! لا راحم لهم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أهـون أهـل النـار عـذاباً مـن عليـه نعلان يغلـي منهما دماغه، ولا يرى أن أحداً أشد منه عذاباً يـرى أنـه أشـد النـاس عذاباً وهو أهونهم عذاباً، وعليه نعلان يغلي منهما الدماغ، النعلان في أسفل البدن والدماغ فـي أعلاه، فـإذا كـان أعلـى البـدن يغلـي مـن أسفله، فالوسط من باب أشد ـ أجارنـا اللـه وإيـاكم مـن النـار ـ ((**فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثـاقه أحـد**)) لأنهـم ـ والعياذ بالله ـ يوثقون ((**ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعـاً**

فاسلكوه)). أدخلوه في هذه السلسلة تغل أيـديهم ــ نسـأل اللـه العافيـة ــ ولا أحـد يتصـور الآن مـا هـم فيـه مـن البـؤس والشـقاء والعذاب، والله إن الإنسان أحياناً ليتمنـى أنـه لـم يخلـق خوفـاً مـن النار، هذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: " **ليت أمي لم تلدني، ليتني شجرة تعضد** "، لأن الإنسان ما يدري، ما يدري ما هو عليه الآن هل هو على صواب أو هو على خطأ؟ هل فـي عبـاداته رياء؟ هل في عباداته بدعة؟ ثم لا يرى أيضاً وهو أخطر لا يـرى مـاذا يختم له به؟ (**إن الرجل ليعمل بعمـل أهـل الجنـة حـتى مـا يكون بينـه وبينهـا إلا ذراع فيسـبق عليـه الكتـاب فيعمـل بعمل أهل النار فيدخلها**)، من الذي يأمن عند المـوت أن يصـد أو يضل ويأتيه الشيطان ويقول أنا أبوك، اترك يا بنـي الإسـلام وكـن نصرانياً أو يهودياً، إن بعض الناس - والعياذ بالله - عند الموت يفتـن، تعرض عليه الأديان، ويقال له اخـتر النصـارى اخـتر اليهـود فـأعرض عن الإسلام، ولهذا نعـوذ مـن فتنـة المحيـا وإيـش؟ والممـات، ومـن الذي يأمن؟ أسأل الله أن يحسن لي ولكم الخاتمة، من الذي يأمن؟ إذن على الإنسان أن يستعد قبل أن ((**يقول يـا ليتنـي قـدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد**)) .

ثم ختم الله تعـالى هـذه السـورة بمـا يبهـج القلـب ويشـرح الصـدر فقال: ((**يا أيتهـا النفـس المطمئنـة**))- اللهـم اجعـل نفوسـنا مطمئنـة-، ((**يا أيتها النفـس المطمئنـة ارجعـي إلـى ربـك راضية مرضية**)) : ((**ارجعـي إلـى ربـك**)) يقـال هـذا القـول للإنسان عند النزع في آخر لحظة من الدنيا، يقـال لروحـه: اخرجـي أيتهـا النفـس المطمئنـة، اخرجـي إلـى رحمـة مـن اللـه ورضـوان، فتستبشر وتفرح، ويسهل خروجها من البـدن، لأنهـا بشـرت بمـا هـو أنعم مما في الدنيا كلها، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**)، سـوط الإنسان العصا القصير، موضع السوط في الجنة خير من الـدنيا ومـا فيها، وليست دنياك أنت، بل الدنيا من أولها إلى آخرها، بما فيها من النعيم، والملك، والرفاهية وغيرها، موضع سوط خير من الـدنيا ومـا فيها، فكيف بمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام، ألفي سـنة يـرى أقصاه كما يرى أدناه، نعيم لا يمكن أن ندركه بنفوسنا ولا بتصورنا ((فلا تعلـم نفـس مـا أخفـي لهـم مـن قـرة أعيـن جـزاءً بمـا كـانوا

يعملون)). معنى ((**المطمئنة**)): يعني المؤمنة الآمنة، المؤمنة الآمنة لأنك لا تجد أطمن نفسًا من نفس المؤمن أبداً، المؤمن يا أخواني نفسه طيبة مطمئنة، ولهذا تعجب الرسول صلى الله عليه وسلّم من المؤمن قال: (**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته ضَّراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سَّراء شكر فكان خيراً له**)، مطمئن ماش مع الله في قضاءه وقدره، لا يسخط عند المصائب، ولا يبطر عند النعم، بل هو شاكر عند النعم، صابر عند البلاء، فتجده مطمئناً، لكن الكافر أو ضعيف الإيمان لا يطمئن، إذا أصابه البلاء جزع وسخط، ورأى أنه مظلوم من قبل الله ـ والعياذ بالله ــ حتى إن بعضهم ينتحر ولا يصبر، ولا يطمئن، بل يكون دائماً في قلق، ينظر إلى نفسه وإذا هو قليل المال، قليل العيال ليس عنده زوجة، ليس له قوم يحمونه، فيقول: أنا لست في نعمة، لأن فلانًا عنده مال، عنده زوجات، عنده أولاد، عنده قبيلة تحميه، أنا ليس عندي، فلا يرى لله عليه نعمة، لا يرى لله عليه نعمة لأنه ضعيف الإيمان فليس بمطمئن، دائماً في قلق، ولهذا نجد الناس الآن يذهبون إلى كل مكان ليرفهوا عن أنفسهم ليزيلوا عنها الألم والتعب، لكن ما في، لا يزيل ذلك عنك إلا الإيش؟ إلا الإيمان، الإيمان الحقيقي هو الذي يؤدّي إلى الطمأنينة، فالنفس المطمئنة هي المؤمنة الإيش؟ الآمنة، مؤمنة في الدنيا، آمنة من عذاب الله يوم القيامة - اللهم اجعل نفوسنا هكذا -، يا إخواني قال بعض السلف كلمة عجيبة قال: " **لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف** "، هل تجدون أنعم في الدنيا من الملوك وأبنائهم، أجيبوا؟ لا، لا يوجد أحد أنعم منهم في الظاهر يعني نعومة الجسد، لكن قلوبهم ليست كقلوب المؤمنين، المؤمن الذي ليس عليه إلا ثوب مرقع، وكوخ لا يحميه من المطر، ولا من الحر، ولكنه مؤمن، دنياه ونعيمه في الدنيا أفضل من الملوك وأبناء الملوك، لأن قلبه مستنير بنور الله، بنور الإيمان، وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ــ حبس وأوذي في الله عز وجل، فلما أدخل الحبس وأغلقوا عليه الحبس قال رحمه الله: ((**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**)). يقول هذا تحدثاً بنعمة الله لا افتخاراً ثم قال: " **ما يصنع أعدائي بي ــ أي شيء**

يصنعون ـ إن جنتي في صدري ــ ما هي الجنة؟ الإيمان والعلم واليقين ــ **وإن حبسي خلوة، ونفيي** ــ إن نفوه من البلد ــ **سياحة وقتلي شهادة** " سبحان الله هذا اليقين، هذه الطمأنينة، الإنسان لو دخل الحبس عندنا كان يخمس ويسدس، بناء مستقبلي، ما مستقبل أولادي، أهلي، قومي، هذا يقول: " **جنتي في صدري** " وصدق. ولعل هذا هو السر في قوله تبارك وتعالى: ((**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**)) . يعني في الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ومعلوم أن الجنة لا موت فها لا أولى ولا ثانية، لكن لما كان نعيم القلب ممتداً من الدنيا إلى دخول الجنة صارت كأن الدنيا والآخرة كلها جنة وليس فيها إلا موتة واحدة، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يحسن لنا ولكم الخاتمة، وأن يجمعنا وإياكم وعموم المسلمين الذين أنعم الله عليهم في الجنة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه على كل شيء قدير.يقول الله تعالى: ((**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية**)) : ((**راضية**)): بما أعطاك الله من النعيم، ((**مرضية**)): عند الله عز وجل كما قال تعالى: ((**رضي الله عنهم ورضوا عنه**)). ((**فادخلي في عبادي**)) أي: ادخلي في عبادي الصالحين، من جملتهم، لأن الصالحين عباد الله هم خير طبقات البشر، والبشر طبقاته ثلاث: منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالون، كل هذه الطبقات مذكورة في سورة، واش هي؟ سورة الفاتحة ((اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين)).وأنا أسألكم، أنتم عندما تقرؤون هذه الآية في أحدكم يشعر بأن الذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ويشعر بأنه يسأل الله أن يهديه صراط هؤلاء؟ أكثر الناس لا يشعر لكن ما يشعر أن هذه تاريخ يشير إلى تاريخ الأمم. وأما الطبقة الثانية: ((**المغضوب عليهم**)): هم اليهود وأشباه اليهود من كل من علم الحق وخالفه، فكل من علم الحق وخالفه ففيه شبه من اليهود، كما قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـقال : " **من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود** ". و : ((**الضالون**)) من؟ النصارى، هم الذين جهلوا الحق، أرادوه لكن عموا عنه - والعياذ بالله -، ما اهتدوا إليه، قال ابن عيينة: و" **كل من فسد من عبّادنا ففيه شبه**

من النصارى "؛ لأنهم العبّاد يريدون الخير يريدون العبادة لكـن مـا عندهم علم ، فهم ضالون. فـأقول يـا أخـواني النـاس طبقـات ثلاثـة :المنعم عليهم والمغضوب عليهم. والضالون. ولذا يقــول:((**ادخلي في عبادي**))، مـن العبـاد؟ المـراد أي الطبقـات؟ الطبقـة الأولـى المنعم عليهم. ((**وادخلي جنتي**)) أي جنته الـتي أعـدها اللـه عـز وجل لأوليائه - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها -، أضـافها اللـه إلى نفسه تشريفاً لها وتعظيماً، وإعلاماً للخلق بعنايته بهـا جـل وعلا، والله سبحانه وتعالى قد خلقها خلقاً غير خلـق الـدنيا، خلـق لنـا فـي الدنيا فاكهة، ونخلا، ورمانا، في الجنة فاكهة، ونخل، ورمان، أتظنـون أن ما في الجنة كما في الدنيا؟ كلا، أبداً لا يمكن، لأن الله يقــول: ((**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**)). ولـو كـان مـا في الجنة كالذي في الدنيا لكنا نعلـم، إذاً هـو مثلـه فـي إيـش؟ فـي الاسم، لكن ليس مثله في الحقيقـة ولا فـي الكيفيـة ولهـذا قـال: ((**ادخلي جنتي**)) فأضـافها اللـه إلـى نفسـه للدلالـة علـى شـرفها وعناية الله بها، وهذا يوجب للإنسان أن يرغب فيها غاية الرغبة، كما أنه يرغب في بيوت الله التي هـي المسـاجد، لأن اللـه أضـافها إلـى نفسه، فكذلك يرغب في هذه الـدار الـتي أضـافها اللـه إلـى نفسـه، والأمر يسير، قال رجل للرسول صلى الله عليه وسـلّم: دلنـي علـى عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقـال: (**لقد سـألت عـن عظيم**)- وهو صحيح عظيم -، ((**فمن زُحزح عن النار وأُدخـل الجنة فقد فاز**))، ولكن- (**وإنه ليسير على من يسره اللــه عليه**) - اللهم يسرنا لليسرى-، (**تعبد الله لا تشرك بـه شـيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكـاة** ...)، وذكـر الحـديث، المهـم أن الدين والحمد لله يسير سهل، لكن النفوس الأمّارة بالسوء هي التي تحول بيننا وبين ديننا ، والشـهوات، والشـبهات، ربنـا آتنـا فـي الـدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.